

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[301] 5 - التوسّل جائز: يستفاد من الآيات - آنفة الذكر - أنّ طلب الإستغفار من الآخرين غير مناف للتوحيد، بل هو سبيل إلى الوصول إلى لطف الله سبحانه، وإلاّ فكيف كان يمكن ليعقوب أن يستجيب لطلب أبنائه في أن يستغفر لهم وأن يجيبهم بالإيجاب على توسّلهم به. وهذا الأمر يدلّ على أن التوسّل بأولياء الله جائز على الإجمال، والأشخاص الذين يرون ذلك مخالفاً لأصل التوحيد غافلون عن نصوص القرآن، أو أنّ التعصّب المقيت يحجب أبصارهم عن تلك النصوص. 6 - نهاية الليلة السوداء إنّ الدرس الكبير الذي نستلهمه من الآيات المتقدّمة هو أنّ الله مهما كانت المشاكل والحوادث صعبة وعسيرة، ومهما كانت الأسباب والعلل الظاهرية غير تامّة ومحدودة، ومهما كان النصر أو الفرج بطيئاً (أو غير متحقّق فعلاً) فإنّ الله أيّماً من أولئك لا يمنع من الرجاء والأمل بلطفه، فالذي أعاد البصر برائحة القميص ونقل رائحة ذلك القميص من مسافة بعيدة، وردّ العزيز المفتقد بعد سنين طويلة، قادر على أن يضمّد القلوب المجروحة من الفراق، وأن يشفي آلام النفوس. أجل إنّنا نجد الدرس التوحيدي الكبير ينطوي في هذا القصص والتاريخ، وهو أنّ الله لا شيء على الله بعزير ولا عسير، بل يهون كلّ شيء بأمره وإرادته. (إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون). * * *